



كتبت عنوان هذه المقالة هكذا: حين تعتصر الكلمات ألمًا، ثم مسحتها؛ لأن أحرفها نزفت دمًا غزيًّا على ما جرى في البيضا وباقياس وجديدة عرطوس وحمص ودرعا ودوما، وجميع أنحاء سوريا، ولن يحتاج أحد في زمننا هذا إلى أن يُشرح له حديث النبي عليه الصلاة والسلام: «يوشك الأئم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كفأة السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولينقذن الله في قلوبكم الوهن» ، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهيَة الموت».

عليه فقط لفهم هذا الحديث، والاستغناء عن المطولات في شرحه: أن ينظر إلى المذابح السورية بإزاء نظره إلى واقع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ فإخوانهم يُنبحون ويعذبون وتغتصب نساؤهم، وينحر أطفالهم، وفضائياتهم ترقص وتغنى، وملاءعهم تمتلئ بالمشجعين، وتعج بأهازيجهم، واستراحاتهم وبرارتهم مملوءة بالمتنتذهين، ولم يتغير شيء من الواقع حياتهم. وحتى تكون صادقين مع أنفسنا فلينظر كل واحد منا ماذا تغير فيه وهو يرى المذابح كل يوم، ويسمع الاستغاثات كل ساعة؟! سوى أن إحساسه يموت شيئاً شيئاً، وحماسه لإخوانه يذبل كل يوم، وينصرف إلى همومه الدنيوية، وينسى فروض الإخوة الإيمانية، وينتظر دوره في المذابح الباطنية الصليبية.

ماذا عسى الواحد منا أن يلقى الله تعالى به وهو يعلم أن أمنية الطفل السوري قد باتت تنحصر في أن يُرمى برصاصه في

رأسه تستخرج روحه بسرعة ليفارق هذا العذاب الشديد، أو ينحر بسكين حادة حتى لا يطول عذابه، وقد قالها طفل سوري لجلاده: مشان الله عموماً سبّ السكين مشان ما أتعذب كما تعذب أخي.

تعتصر الكلمات ألمًا حين نفرج بذك إسرائيل - وهي عدو مبين - لموقع الصواريخ السورية؛ لئلا يمطر بها النظام النصيري أهل السنة في المحافظات السورية، ونحن نعلم أن إسرائيل إنما فعلت ذلك لئلا تصل الصواريخ إلى أيدي المقاومة فتشكل خطرا على إسرائيل، فنفرج بدمير ما قد يكون غدا بأيدي المسلمين من سلاح فتاك لأن المسلمين يُقتلون به الآن، وتدرك به مدنهم وقرابهم.

تعتسر الكلمات ألمًا حين شاهد على اليوتيوب عشرات المقاطع وفيها أطفال وشباب من أهل السنة موثقون وينحرهم النصيريون والروافض نحر الأئمّة، وحين شاهد أطفالاً رضع أحرقت أجسادهم ومزقتها.

تعتصر الكلمات ألمًا حين نشاهد مجموعة من كلاب النصيرية يستفردون بأمرأة سنية محجبة فيضربونها ضرب غرائب الأيل، ويجلدونها بسياطهم، ويركلونها بأرجلهم وهي مقرضة تتألم ولا تتكلم.

تعتصر الكلمات ألمًا حين ينحر النصيري رقبة سني نصف نحرة ويتركه يتلوى ويصرخ وينزف حتى ينقطع صوته ويموت، يريد أن يستمتع بعذابه وصاراًخه.

تعتصر الكلمات ألمًا حين نرى امرأة تتمدد يدها من تحت الأنفاس التي دكتها الصواريخ النصيرية تريد من يخرجها، فيجلس بجوارها أخوها لا يقدر على إزالة الأنفاس إلا أنه يمسك بيدها وهو جالس حتى تبiss يدها في يده وهو لا يتحرك من عجزه وأيأسه.

تعتصر الكلمات ألمًا حين قرأنا سؤالاً لفتيات محاصرات في البيضا يستفتين علماء الإسلام إن كان بإمكانهن أن يقتلن أنفسهن قبل دخول النصيرية عليهن واغتصابهن، وهل يعد ذلك انتحاراً. وقبل أكثر من سنة سأل نساء آخريات أيجوز لهن إجهاض أجنهن من جراء الاغتصاب.. وصرخت نساء منهن يطالبن المسلمين بحبوب منع الحمل إن كانوا عاجزين عن حمايتهن.

كأنى بمن بقي في قلوبهم حياةً ملأها مآسيهم أنهم عاشوا تلك الحقبة من الزمن ويرددون قول ابن الأثير لما رأى جرائم التتر في المسلمين وراء النهر: لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجالاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمري لم تلدني، ويا ليتنى مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً. (الكامن في التاريخ: 10/ 333، دار الكتاب العربي).

وذكر الطبرى في أحداث سنة تسعين ومئتين قصة قطع القلوب لامرأة هاشمية قرشية شامية أذلها القرامطة، ودنسوا عرضها الشريف؛ حكتها امرأة أدخلت عليها لتوليدها وهي في عسكر القرامطة، فسألتها: من والد هذا الصبي؟ فقالت: إنى امرأة هاشمية... وإن هؤلاء القوم أتونا فذبحوا أبي وأمي وإخوتي وأهلي جميعا، ثم أخذنى رئيسهم فأقمت عنده خمسة أيام، ثم أخرجني فدفعنى إلى أصحابه فقال: طهروها، فأرادوا قتلي فبكى، وكان بين يديه رجل من قواده، فقال: هبها لي، فقال: خذها، فأخذنى وكان بحضرته ثلاثة أنفس قيام من أصحابه فسلوا سيفهم وقالوا: لا نسلمها إليك، إما أن تدفعها إلينا والإلا

قتلناها، وأرادوا قتلي وضجوا، فدعاهم رئيسهم القرمطي وسألهم عن خبرهم، فخبروه فقال: تكون لكم أربعونكم فأخذوني فأنا مقيمة معهم أربعتهم، والله ما أدرى من هو هذا الولد منهم. (تاريخ الطبرى: 101/10، دار التراث).

هذه القصة وقعت في بلاد الشام قبل أحد عشر قرنا ونصف قرن، على أيدي أجداد النصيريين، حين أذلوا كرام القرشيين، وهي الآن تقع في بلاد الشام، في بيوت كريمة كثيرة، قتل رجالها وأطفالها، ودنسن أعراض نسائها، أفلأ تعتصر الكلمات ألمًا وهي تدون ذلك؟!

لقد بات الجهاد محظوظاً دولياً وإقليمياً، وحماية المسلمين المضطهدين جريمة يرمي صاحبها بتهمة الإرهاب، ونجدة المنكوبين لا بد أن تكون عبر المنظمات الدولية وأخواتها العربية مع ما فيها من تحيز وتلاعبات، ومن يتجاوزها فهو عرضة للمساءلة والجزاء.

بل حتى مجرد التعاطف مع المسلمين الذي يذبحون عدوه سذاجة عاطفية لا تليق بالعقلاء، لقد غدا شعورنا بمصاب إخواننا مستكثر علينا، ونلام عليه، ونعتاب به؛ لأنه بعيد عن الكياسة والسياسة.. والمطلوب هنا أن نصمت ونكون أكثر برودة وبلاهة، فننظر إلى مذابحهم وعذابهم بصمت لأن الأمر لا يعنينا، وأن لا نتخذ أي موقف إيجابي لإنقاذهم، وإلا فنحن معرضون للدخول في دائرة الإرهاب الدولي التي رسماها لنا الصليبيون والصهاينة وقبلناها حتى صرنا أشد حماسة لها منهم.

تعتصر الكلمات ألمًا حين نرى انضمام الروافض للنصيريين علانية من العراق وإيران وحزب الشيطان، وتحت سمع وبصر المجتمع الدولي ولا أحد يحرك ساكنا، همهم الأكبر في تسلل الإرهابيين إلى سوريا.. ثم نحن نعول على مبادرات هذا المجتمع الدولي الطاغوتي الذي ما سُنت قوانينه وأنظمته ولا أُنشئت منظماته المتعددة إلا لازلال المسلمين وتسلیط الأمم الأخرى عليهم ورعايتها مذابحهم، ولننظر إلى مواقفهم من مذابح المجوس والبوذيين والهندوس والصليبيين والصهاينة للمسلمين لعلم أنه مجتمع يشرع لنبح المسلمين وإيدائهم بكل الطرق الممكنة، ويتوسّع ذلك بالحجج المتعددة، ومع كل ذلك نصدق أكذوبة المجتمع الدولي بمنظماته وأنه إنما وضع لإرساء الأمن والسلم العالمي، ورد الاعتداء، وإنصاف المظلومين.

قاتل الله السياسة وآثارها المخزية.. وقاتل الله تعالى قلوبنا ليس فيها عواطف لحيوانات تقتل عبئاً وإفساداً، ثم قاتل الله تعالى قلوبنا ليس فيها عواطف لكتار يقتلون ظلماً وعدواناً، ثم قاتل الله تعالى قلوبنا لا تعتصف مع قتل مسلمين يشهدون شهادة الحق، ثم قاتل الله تعالى قلوبنا لا تعتصف مع نساء مؤمنات تغتصب، وأطفال يذبحون يقطعون ويحرقون. وما حال الدول الإسلامية إلا حال من ينتظر دوره في المحروقة الباطنية، أفلأ تعتصر الكلمات ألمًا، وتتنزف الأحرف دماً على واقعنا المخزي؟!

يا أمة الإسلام، يا خير أمة أخرجت للناس : أدركوا إخوانكم في الشام.. أنقذوا إخوانكم في سوريا قبل أن تنزل بكم عقوبة الله تعالى، وقبل أن يصل المد الباطني إلى دياركم، ولنعلم أن ابن الأثير حين كتب مقطوعته السابقة التي تمنى فيها أنه لم يوجد وكان نسيباً، إنما كتبها قبل أن يصل التتر إلى بغداد؛ لأنه مات قبل ذلك بست وعشرين سنة، ولكن تخاذل المسلمين عن نصرة المنكوبين آنذاك أوصل التتر إلى بغداد فأنهوا الخلافة العباسية، وفعلوا بالمسلمين في العراق ما لو أدركه ابن الأثير لانصفع قلبه، ول يكن إحساس كل واحد منا بمصاب إخوانه كما لو كان هو المسئول عن ذلك وحده؛ فإن الله تعالى سائله يوم القيمة ماذا فعل؟ وماذا قدم؟ ولن يسأله عن غيره.

اللهم أيقظ قلوبنا من الرقدة، ونبهها من الغفلة، وارفع عن إخواننا الكربة آمين.